م/الجواهري ثقافته ودوره السياسي:

.....

المقدمة

ولد محمد مهدي الجواهرى عام 1903م بمدينة النجف الاشرف ونشأ ودرس فى الصحن العلوي. كان من أسرة دينية، كان جده الأعلى الشيخ محمد حسن مرجع الشيعة الامامية في عهده وكتابه المشهور (جواهر الكلام) الذي اقتبست الأسرة لقبها منه. وعلى ذكر الأسرة قال فقد ارتبط اسم أسرتنا بجدنا الفقيه الكبير، الشيخ محمد الحسن، النجفي المولد هو وسبعة من آبائه، والمسمى باسم موسوعته الفقهية »جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام بدأ بالقريض وهو في سن مبكر. قيل عنه الكثير بدءاً من نابغة الشعر العربي، ومروراً بشاعر العرب الأكبر، وأمير الشعراء بعد شوقي، ووارث الشعر العربي ومتنبي العصر وربّ الشعر، وانتهاءاً بألقاب وأوسمة أدبية قلما حصل ويحصل لشاعر عربي. اما مدرسته الشعرية: تعتقد الأغلبية بأن له مدرسة شعرية خاصة تكاد تكون فريدة في الأسلوب والمضمون والشكل؛ فلا يمكن قياسها بالمدارس المعهودة فضلاً عن أنه قد قيل الكثير حول تحديد الاتجاه الشعري لديه، فكلها كانت تصب في واحة الاتفاق على أن مدرسته متميزة فهو آخر شعراء المدرسة البارودية والتقليدية و كان آخر الشعراء الكبار الذين كتبوا قصيدة بشكلها الكلاسيكي وتوفي فجر يوم الأحد المصادف 27 يوليو/تموز 1997 في إحدى مستشفيات العاصمة السورية دمشق، وشُيع تشييعًا مهيبًا حضره أركان الدولة السياسيين والعسكريين بالإضافة إلى حضور شعبي عظيم، ودفن الجواهري في مقبرة الغرباء في منطقة السيدة زينب في دمشق إلى جانب قبر زوجته السيدة أمونة

.....

المخزون الثقافي للجواهري:

روافد وعوامل:

لا يخفى على أحد أن الجواهري يندر أن ترى في أشعاره قصائد لم يعتمد فيها على تراثه الثقافي المخزون في ذهنه وفكره، فهو في كل الأحوال قد بنى بنيانه الأدبي على هذه الخلفية الغنية ومطالعة دواوينه خير شاهد على ذلك، فان الجواهري ان لم يكن حاملاً لتراث يضرب في عمق ألف عام، وان لم يكن هو البقية الباقية من التراث الأدبي العربي الصحيح على حد قول عميد الأدب العربي طه حسين

ما كان له هذا التسلط والحكم على الحرف والكلمة، وما كانت القافية تنصاع له بخضوع، وما كان الموضوع أو المناسبة التي يريدها لينشد فيها تتجزأ وبتلك السرعة الفائقة لتتحول الى نظم في ثوب تراثي متزين بزينة العصر والزمان. لقد اكتنز الجواهري في خياله كل ما مر على قومه وبلاده من تعسف وجور من الحاكمين والمتنفذين خلال القرون السبعة المظلمة، ورأى مجتمعه الذي يعج بالمشاكل والعقد، فاندفع يصور ذلك ويفهم الجيل الحائر بما يتصوره من مثل وآراء. وطبيعي جداً أن تكون لهذه الخلفية مشارب نهل منها الجواهري، وعوامل كانت لها الأثر البالغ في تكوين التراكم الثقافي والأدبي لديه وسنشير الى أهمها

1-البيئة:

ان أول ما يلفت النظر اليه حول الخلفية التراثية والثقافية للجواهري، هو بيئته، يعني البيئة الخاصة، والبيئة العامة، فالبيئة الخاصة ترجع الى بيئة الأسرة الثقافية، وكما أشرنا سابقاً فقد نشأ في أحضان عائلة تتصف بالعلم والأدب، وتقرض الشعر، وتطارح وتعارك في المطارحات والمعارك الأدبية، فالأب عالم وشاعر، والأخ الأكبر شاعر متجدد ومتأدب، وهكذا الأجداد والأقرباء هذا من الجانب الثقافي والفكرى، وأما البعد الاجتماعي لبيئته الخاصة فهو ليس بأقل من البعد الثقافي والديني تأثيراً، فالعائله من العائلات الشهيرة والسلالة سلالة علماء وفقهاء، والمنزلة سامية وكبيرة على الرغم من مرور ظروف وأيام عجاف وجوع وصعاب كلها بامكانها أن تتحول الى عوامل بناء في كيان أفرادها وقد تتحول الى عوامل ثورة، وتمرد. ولم يكن للجواهري أن لا يتأثر بالبيت الديني الذي يُتلَى فيه القرآن صباحاً ومساءً، ولم يكن له أن لا يحفظ القرآن أو لا ينهل من عظمة فصاحة اللغة، وكمال بلاغتها فيه. أما البيئة العامة فهي النجف الأشرف، ما أدراك ما النجف، فهي أعجوبة من الأعاجيب ونادرة من النوادر ولاسيما مجال الشعر، حيث يتنفسه أهلها كالهواء ويشربونه ويلوكونه كالماء والخبز والنجف تعني الحضرة العلوية، المنابر الحسينية، المجالس الأدبية، ومواطن شعراء كبار، ومركز ثورة العشرين، وملتقى العلم والأدب، لقد اكتسب الجواهري خلفية ثقافية من بيئته النجف لازمته سلباً وايجاباً طوال عمره البالغ مائة عام تقريباً، فقد نبغ في الشعر في حداثته متأثراً بما كان يسمعه وهو يرتاد النوادي الأدبية في النجف من أصوات أبي تمام والمتنبي والبحتري والشريف الرضى. وكان لنشأته في النجف أن اكتسب من البيئة النجفية النزعة العنيفة، فكان ميالاً الى التحدي والتمرد والرفض، فالشعر كان يسحره ويجعله يرتجف وأهم ما بقى في ذاكرته مجالس الشعر والشعراء، والنجف كانت معروفة بكثرة الشعراء فيها. لا انفكاك للجواهري عن بيئته، بل لم يقدر على أن ينفك عن النجف أو عن العراق رغم سنين البعد ورغم انقلابه الكبير عن سلبيات الاستقلال الديني لبعض الجماعات، فقد بقي متأثراً بمدينته وبلده ومستأنساً معهما في البعد والثورة. قال الجواهري أنا لا أزال أتحدث عن الناحية الأدبية والشعرية عندي، وليس من السهولة بمكان انفكاك هذه الناحية عن ناحية البيئة والمجتمع وحتى ناحية حياتي الشخصية، حياة كل شاعر يعيش مشاعره بأفراحها و أتراحها فضلاً عن أنه وجد ليكون وكأنه مكلف بمشاعر الآخرين وأفراحهم وأتراحهم:

حملتُ همومي على منكب و هم سواي على منكبِ

ولاشئت نفسى في الأبعدين أفكر فيهم وفي الأقربِ

ولا يمكن استثناء الجواهري في هذا، فكيف ذلك وهو المبدع النابغة في حقل الشعر العربي الذي هو عين الأدب ووجهه البارز. فقد نبغ في الشعر وهو حديث السن بعد ونشأت معه الهامة الذي كان يشده نحو رهبة الشعر وتقديسه، ولقد كان هذا الالهام الشعري أو الموهبة التي كانت تحيط بكل كيانه السبب في مغادرة كل النواحي العلمية والفقهية وحتى السياسية التي أتيحت له أن أراد ذلك، ولم يكن بدايته الشعرية الا استجابة لهذا الالهام الغريزي، ولا ندري ان كان هناك من يفرق بين الموهبة والالهام ونظن أن الملهم هو الموهوب، والموهوب هو صاحب الكفاءة الفطريه التي تلهمه نحو ايجاد الأثر الفني أو الأدبي، لا ندرى، ألم يكن هكذا دأب العمالقة الكبار الذين خلدوا آثاراً فنية وأدبية لا تنسى..**تقول الدكتورة نجاح العطار** (وحين نقول الجواهري نقول كل هذا: المعجزة، والصحراء، والكلمة، البدع، والسر الذي لا نبلغ أن نأتي بمثله، لا بالملك، ولا بالمال، أو الجبروت).

2- الكتب والمكتبات:

لما كان الجواهري منذ بداياته قد فتح عينية وهو يرى في أطرافه أينما يلقى نظرة كتب ومكتبات، في البيت، وفي الشارع ، وفي النوادى الثقافية، ولما كان منذ صباه يميل فطرياً الى القراءة والمطالعة، كان طبيعياً جداً أن يكون الكتاب صاحبه الوفي الذي لا يغادره في أي حين، بل المتنفس الوحيد الذي كان بامكانه أن يحتوي الجواهري وينميه ويصقل موهبته وفي المقابل لم يدخر الجواهري وسعاً بالالتصاق بالكتاب والسعي الدؤوب بالحصول عليه وقضاء حاجته النفسية والروحية به، ويذكر الجواهري بأنه في سبيل الحصول على بعض الكتب كان يدخر من النقود التي كانت تعطي له لاقتناء مستلزمات البيت اليومية من خبز وطحين ورز وغير ذلك، ليقتني بها الكتاب الذي يسيل لعابه الى مطالعته ونهمه، ولقد سمى الجواهري هذه بالسرقة من البيت أو من مصرف البيت. تبدأ علاقته بالكتب من بداية حضوره في حلقات الدروس التقليدية التي كانت تتوفر في النجف، ويعتبر هذه الفترة بفترة القراءات القسرية فقد قال:

(فقد تحتم علي أن أحفظ عصر كل يوم خطبة من نهج البلاغة أو قطعة من أمالي القالي وقصيدة من ديوان المتنبي ومادة الجغرافية، وفي صباح اليوم التالي، كان ينبغي أن أدرس النحو والصرف على يد الأديب محمد علي مظفر وعلى أن أتم الأجرومية ثم كتاب القطر (لأبي هشام) ثم ألفية ابن مالك لأتم كل ذلك بتفهم بشهرين أو ثلاثة مثلاً،

وبعد النحو درست علم البلاغة والبيان على يد شيخين مقتدرين هما علي ثامر، ومهدي الظالمي). ولكن الجواهري يعزو المامه باللغة العربية أساساً الى فضل القرآن الكريم ويقول:(أنا مدين له باقتناص اللغة والحرف وحتى الشعر واللقطات والصور من آيات أوحت لي، خصوصاً عند ترتيله، فهو يسحرني عند سماعه). وقد أكد الشاعر مراراً وفي أماكن عديدة بأنه اعتمد في ثقافته ولغته بشكل أساسي على أربعه كتب ابتدأ بقراءتها وهو في سن الثامنة وهو بحاجة الى قراءة هذه الكتب حتى في الثمانين من عمره وهذه الأربعة تعد من ركائز الأدب العربي وهي: الكامل، الأمالي للقالي، كتب الجاحظ، نهج البلاغة. كانت هذه المقومات الأساسية لنضوج ثقافته وشيئاً فشيئاً توسع الجواهري بالقراءة واشتد ولعه الكبير بالكتب الأدبية، وكان يستنسخ دواوين فطاحل الشعراء من الجاهلي، والعباسي وغيرهم

3- حدّة الذاكرة وقوتها:

لم يكن لنبوغ كنبوغ الجواهري لتظهر الى الوجود وتخلق المعجزة دون امتلاك الذهن الوقاد والذاكرة الحية التي تسجل كل شاردة و واردة وتخزن المفردات الثقافية لتتجسد حين الأبداع وتثمر بالنتيجة الأثر الخالد. فالمعروف أن الجواهري حاله خاصة تدخل في حضيرة القلائل الذين نبغوا بسبب حدة حافظتهم وحرارة ذكائهم و الجواهري وان لم يكن كالذي قال)ما سمعت شيئاً الا حفظته وما حفظت شيئاً ونسيته(فانه استطاع بحدة حافظته وقوة ذاكرته أن يختزل تسعون عاماً بمفرداته وتفاصيله، الأدبية الاجتماعية، والسياسية والشخصية في كتاب واحد من خلال تدوينه لمذكراته، حيث لم يعتمد في تأليف كتابه)ذكرياتي(الا على ذاكرته، وكتب يقل عددها من أصابع اليد. قال الجواهري في مقدمة كتابه المذكور: »أخيراً، لم أتعرف على أحد آخر غيري من قبل، من دون هذه الحياة وهي على أبواب التسعين وفي الغربة عن وطنه أيضاً، على ذاكرته، وبشيء من الرجوع الى تواريخ قصائده نفسها وكتاب الشيخ جعفر محبوبه (ماضي النجف وحاضرها) وتاريخ الوزارات العراقية للحسنى، هذه الذاكرة التي عادت بي و أنا في التسعين الى السنة التي كنت فيها على صدر أمي لأتذكر أين كان فراش جدي وهو يحتضر، في أي زاوية، ومن أي غرفة في بيتنا العتيق«. لم يكن الجواهري مغتبطاً ومغروراً بذاكرته القوية كما يظن البعض، بل كان يرى في ذلك عبئاً تاريخياً دفع الجواهري الى أن يقول ما قد لا يستحسن قوله بالنسبة للأحداث والفواجع والشخصيات من جانب، وبالنسبة له شخصياً من جانب آخر هذا فضلاً عن أنه حفظ المئات بل الآلاف من أبيات الشعر العربي الجاهلي أو الأموي والعباسي وقد كانت لهذه الحافظه والذاكرة المتوقدة الأثر البليغ لانصياع القافية العربية لمخيلة الجواهري.

.....

دوره السياسي:

البلاط الملكي

عمل الجواهري لفترة قصيرة في البلاط الملكي بعد تتويج الملك فيصل الأول ملكًا على العراق، وقدم استقالته منها، ويعلل ذلك بسبب قصيدته «جربيني» لما فيها من تحدٍ للمجتمع والعادات آنذاك، وبعد ذلك دخل إلى عالم الصحافة، وأسس جريدة الفرات، التي أغلقتها الحكومة، ولم يستطع إعادة فتحها؛ لذلك توجه الجواهري إلى سلك التعليم وعمل معلمًا في المدارس والثانويات في عدة مدن منها بغداد والبصرة والحلة.

انقلاب 1936

في عام 1936 أصدر جريدة الانقلاب عقب الانقلاب العسكري وبسبب مواقفه المناهضة للانقلاب حُبس لمدة ثلاثة أشهر واغلقت الصحيفة، بعد خروجه وسقوط حكومة الانقلاب العسكري أعاد فتح الجريدة باسم الرأي العام، وكانت المقالات التي ينشرها سببًا لأغلاق الصحيفة لأكثر من مرة حتى أن الضغوط دفعته للهجرة إلى إيران والعودة بعد فترة.

وفي عام 1946 ظهرت في العراق دعوات إلى نشر وترسيخ الديقرطية وهذا ما شجعته حكومة توفيق السويدي التي شُكلت في 23 فبراير، عام 1946، وتأسس الحزب الوطني الذي كان الجواهري من الأعضاء المؤسسين له، وأجازت الحكومة للحزب الوطني ممارسة العمل السياسي، وفي 2 أبريل/نيسان أتخذ الحزب من جريدة الرأي العام، الناطق الرسمي له، وبعد فترة نشبت خلافات بين أعضاء الحزب مما أدى بالجواهري إلى أن يقدم استقالته في أغسطس/آب من عام 1946، وواصل الجواهري نشاطه السياسي بالإضافة إلى النشاط الصحفي، فقد كان مسؤولًا عن جريدة الرأي العام، وفي عام 1947 انتخب نائبًا في مجلس النواب العراقي واستقال بعد عام لمعارضته معاهدة بورتسموث والتي كان شقيقه أحد ضحاياها نتيجة لتعرضه لإطلاق ناري خلال التظاهرات ومقتله متأثرًا بجراحهِ بعد عدة أيام

وفي عام 1949 كان محمد مهدي الجواهري العربي الجنسية الوحيد من حضر في مؤتمر أنصار السلام العالمي الذي أقيم في بولندا وعلى أساسه أُسس مجلس السلم العالمي عام 1950 وأختير عضوًا فيه. وفي عام 1956 سافر الجواهري إلى سوريا لتلبيةً دعوة رسمية في حضور الحفل التأبيني السنوي للذكرى الأولى على اغتيال العقيد عدنان المالكي. وفي هذا الحفل ألقى الجواهري مجموعة من الأبيات في الحفل التأبيني اعتبرتها الحكومة العراقية معادية في المضمون وخصوصًا بما يتعلق بحلف بغداد، وجراء ذلك طلب الجواهري اللجوء السياسي في سوريا، وعمل في إدارة تحرير مجلة الجندي التابعة للقوات المسلحة السورية، وبعد عام ونصف رجع الجواهري إلى العراق. فاستدعي من الحكومة في البداية وواجه تهمة المشاركة في محاوة قلب نظام الحكم التي رد عليها مستهزئًا بقولهِ: "«ولماذا أشترك مع الأخرين وأنا استطيع قلب النظام بلساني وشعري» وبعد ساعات، أطلق سراحه.

بعد انتقال العراق من الملكية إلى الجمهورية في 14 يوليو/تموز عام 1958 كان الجواهري من أشد المتحمسين لهذا الانتقال المهم والحساس، وأُطلق عليه في تلك الفترة لقب شاعر الجُمهورية، وأول نقيب للصحفيين في تاريخ العراق، في 7 سبتمبر،/أيلول من عام 1959 من ضمن المؤتمر التأسيسي الأول بحضور الزعيم عبد الكريم قاسم. لكن تأزمت علاقت الجواهري بالنظام السياسي مما أضطر لمغادرة العراق إلى لبنان في عام 1961، ومن هناك سافر إلى جمهورية التشيك بدعوة من اتحاد الأدباء، وقدم طلب للجوء السياسي.

وبعد انقلاب 8 شباط 1963 سحبت الحكومة العراقية الجنسية العراقية من الجواهري، لرفضه الانقلاب بقيادة عبد السلام عارف، وعاد إلى العراق لاحقًا بعد انقلاب 17 تموز 1968، بدعوة من الحكومة العراقية وأعادت له الجنسية العراقية وقدمت له راتبًا تقاعديًا قَدره 150 دينار كل شهر، وفي أواخر عام 1980 غادر العراق ليستقر في دمشق، وتذكر بعض المصادر أن الجواهري أنتقل إلى سوريا في عام 1983 تلبية لدعوة رسمية، وبعض المصادر تذكر أن الجواهري في عام 1980 كان يسكن بالحقيقة في جمهورية التشيك، وفي تسعينيات القرن الماضي سُحبت الجنسية العراقية منه مجددًا بسبب مشاركته في مهرجان الجنادرية السنوي المقام في المملكة العربية السعودية في عام 1994

.....

نتائج البحث

الشعر والسياسة:كان يقول لا أعتبر نفسي سياسياً بالمعنى المتعارف عليه، ولا أفهم كثيراً بالسياسة، هكذا يقول الجواهري عن نفسه، لكن هناك مواقف وأحداث تستدعي شيطانه الشعري، "ويكفيني إشارة فقط، وكأني كنت أنتظرها واحتاجها لألبيها شعراً بأكثر مما تحتمل، ومن هذه الإشارة تنطلق القصيدة انطلاقة طبيعية وعاطفية، ليأتي ما يعجب

وما يثير ويؤذي، وقد يكلف الموقف غالياً ولكن هذا لا يهمني ما دمت قد تلقيت الإشارة وحدد الجواهري لنفسه موقعا في قلب التاريخ العراقي بما عاش من عمر مديد، وما أرخ من أحداث جسام، وما أثار من زوابع خلال سيرته السياسية والأدبية، شاهدا على قرن بأكمله من عمر العراق المعاصر، وكأنه كان يستعيد موقع راوي الملاحم في ثقافة الإغريق كما وصفه جبرا إبراهيم جبرا

الحياة الثقافية:

(لم تكن الحوادث الشهيرة العالمية تسترعى انتباه الجواهري فقط، فلقد كان يتفاعل أنسانياً حتى مع مفردات قد لا تستهوى أمثال الجواهري، لقد رأى الجواهري في الملاكم)محمد علي كلاي(بطلاً ينذر بالحق ويجول جولته كالذى يناضل ضد الطغاة والظالمين، وان دل هذا على شيء فانما يدل على مدى احاطته بالقضايا العالمية، وعلى ذوقه الرفيع ونزعته الحضارية

.....

مصادر البحث:

1) الجبوري، عبد الله، الجواهري نظرات في شعره وحياته، ص 10-9 .

2) العلوي، هادي، محمد مهدي الجواهري دراسات نقدية، ص 19.

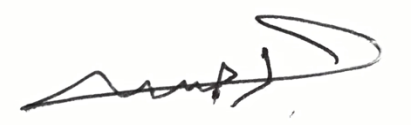
3) الجواهري، محمد مهدي، ذكرياتي، ج 1، ص77.

4) الكردي، علي، مقالة فى مجلة الهدف تحت عنوان رحلة القرن العشرين بين النجف ودمشق، عدد 1266، ص 36.

5) سماحة الشيخ ضياء الجواهري المشرف على مؤسسه أهل البيت للنشر والترجمة فى قم، وهو من أرحام الشاعر محمد مهدي، أعطانا من وقته مشكوراً في لقاء معه في مكتبه بقم في 80/12/26 ه.ش.

6) ذكرياتي، ج 1، ص 65.

اسم وتوقيع الطالب



احمد عبدالحسن مرزوك